المشرق

لاهوت السيد المسيح في آلامهِ

للاب شرل اوزباس توران مدرّس اللاهوت النظري في كليّة القديس يوسف

ان كنيسة المسيح المقدّسة قد اتّخذت الصوم الاربعيني ليس فقط ليقوم فيهِ ابناؤها باعمال التوبة الصادقة ويزهدوا بملاذّ الدنيا واباطيلها وينقطعوا لامور الروح ولكن ايضاً ليصرفوا نظرهم الى الآلام الفظيعة التي قاساها السيد المسيح حبّاً بنفوسهم وفداء عن آثامهم. فاجابةً الى رغبة الكنيسة رأينا ان نذكّر المؤمنين بهذا السرّ العجيب ليبعث في نفوسهم عواطف الحبّ والشكر لعزّتهِ تعالى الذي ابتدع هذه الطريقة لخلاصهم واجتذاب قلوبهم الى فاديهم الجليل

على ان غايتنا من هذه المقالة ليست وصف الآلام المرّة التي رشف كأسها حتى العبابة ابنُ الله الكلمة المتأنس لانّ في عظات مصاقيع الخطباء مدّة جمعة الآلام وفي الكتب الروحية المتداولة ما يفي برغبة المؤمنين ويحرّك فيهم شواعر التُقى والعبادة. وانّما غرضنا ان نبين انّ صليب المسيح وآلامهُ المرّة من اقوى الشواهد واسطع الادلّة على لاهوتهِ

ولعلّ معترضاً يوقفنا عند هذا الحدّ ويستغرب قضيّتنا فيقول: ويكَ اين هذا القول من الصواب؟ لو زعمت انّ المسيح لمّا بعث الموتى وشفى المرضى الزمنى وابرأ البرص وفتح عيون العميان برهن عن لاهوتهِ لما انكرنا عليك قولك. وكذلك قد اقنعنا المشرق

(٦ : ٣٣٧ و ٤١٣) اذ اثبت في عامه المنصرم انَّ قيامة المسيح حجَّة قاطعة على لاهوته . ولكن شتَّان بين هذا القول وقولك الحاضر وانت تزعم انَّ آلام المسيح دليل على لاهوته وهي على خلاف قولك بيِّنة لامعة على ضعفه وكسرته . او ليس الأَحرى بان يُسبَل الستر دون هذه المظاهر المخلَّة بشرف المسيح

على رسلك يا صاح لا تسرع في التحكُّم « فقد يكون مع المستعجل الزلل » وان أَصختَ لي وأَعرتني لبَّك تحقَّقت صدق مقالي . أفلا ترى اعزَّك الله كيف يتباهى بولس الرسول بآلام ربِّه حيث يقول (غلاطية ٦ : ١٤) : « امَّا انا فحاشى لي ان افتخر الَّا بصليب ربِّنا يسوع المسيح » . فان وافقتَ اليهود الذين عدُّوا آلام المسيح كعثرة في سبيلهم او رضيتَ بقول اليونانيين الذين حسبوا الصليب جهالةً فانَّنا نتبع الحواريين وتلاميذ المسيح فنعتبر كلمة الصليب كقوَّة يمين العلي وحكمة الله (١ كورنتس ١ : ١٨—٢٢)

وان كنت في ريب من قولنا افتح الانجيل الطاهر وانظر كيف ان المسيح ذاته جعل في آلامه وموته علامة قوَّته فكان تارةً يدعو موته صبغةً تتوق اليها نفسه فيتضايق حتى تتمَّ (لوقا ١٢ : ٥٠) وحينًا يدعوه ارتفاعهُ وتعاظمهُ (يوحنا ٣ : ١٤ و ١٢ : ٣٤) واذا رأى احدًا يحول بينهُ وبين آلامه امسكهُ وردعهُ كما فعل ببطرس كبير رُسله (متى ١٦ : ٢٢—٢٤) وكان هذا أَغواهُ حبُّهُ لسيِّده فظنَّ انَّ آلامهُ تبخس بشأنه هاتفًا : حاشى ان يكون لك هذا . فالتفت يسوع وزجرهُ قائلًا : « اذهب خلفي يا شيطان فقد صرت لي شكًّا لانك لا تفطن لما لله لكن لما للناس » . وكان المسيح يبني كلَّ نجاح عمله وبشارته على صليبه وموته ومن ثم تراهُ يشبِّه نفسهُ بحبَّة الحنطة التي لا تنمو وتؤكو الَّا اذا ماتت (يوحنا ١٢ : ٢٤) ويصرِّح للجموع بانهُ اذا عُلِّق على صليبه ورُفع كحيَّة موسى النحاسيَّة اجتذب اليه كل العالم (يو ١٢ : ٣٢)

وكان الربُّ على قدر ما يقترب اوان موته وعذاباته يزيد فرحًا ويظهر امام التلاميذ وجمهور الشعب ارتياحهُ الى تلك الساعة حتى انَّ مدار كلامه يوم تجلَّى على جبل الطور وموضوع حديثه مع موسى وايليَّا اللذين تراءيا لهُ انَّما « كان عن خروجه الذي كان مزمعًا ان يتمِّمهُ في اورشليم » (لوقا ٩ : ٣١) . بل اراد وهو الذي كان يستكف من كل فخفخة وعظمة ان يدخل المدينة بالأُبَّهة والمجد محفوفًا بالجموع الصارخة : « هوشعنا لابن داود مبارك الآتي باسم الله ملك اسرائيل » وذلك ليشير الى سروره بموته القريب

فبين على رؤوس الاشهاد انهُ يذهب الى الصليب والآلام ذهابهُ الى الانتصار والظفر

وكذلك لمَّا خرج ليلة العشاء السري ذاك التلميذ الشرير يهوذا الاسخريوطي ليسلمهُ الى اعدائهِ اليهود ويأخذ منهم ثمن حياتهِ لم يردّهُ المسيح عن سوء قصدهِ بل قال لهُ: افعل مسرعاً ما انت فاعل (يو ١٣: ٢٧) كأنهُ لم يتمالك رغبةً الى وقت آلامهِ فيجد في موتهِ كل لذَّتهِ. وقد اشار الى ذلك امام تلاميذه بعد خروج يهوذا قائلاً: «الآن تمجد ابنُ البشر وتمجد الله فيهِ» (يو ١٣: ٣١)

ثم قام مع رُسلهِ وخرج الى بستان الزيتون سائرًا الى اعدائهِ. وبعد ان قوَّى نفسهُ بالصلاة سلَّم ذاتهُ طوعاً ولم يُرد ان احدًا من تلاميذهِ يدافع عنهُ بل زجر بطرس الذي اخترط السيف ليصونهُ من اذى اعدائهِ قائلاً: «اجعل سيفك في غمدهِ. أأكاس التي اعطانيها الآب ألا أشربها» (يو ١٨: ١١)

فكلّ هذه الاقوال تشهد شهادةً بيّنة على انَّ المسيح كان يعتبر موتهُ كسرّ قوتهِ ومن ثم يسوغ لنا نحن المسيحيين ايضاً ان نستشفّ ما يختفي وراء هذا الضعف الظاهر وهو ان الصليب فترى قوَّة الله وآية حكمتهِ المحجوبة تحت هذه الاعراض ونستخلص لبابها كما يُستخرَج اللبّ من قشرتهِ

والحقّ يقال انَّ المسيح وُلد ولادةَ إله ومارس فضائل الإله وعلَّم كإله فعاش عيشةً لا تليق الّا بالإله. ولكنَّ كلّ هذه الاعمال ليست بكافية إلّم يَمُتْ موت إله فيظهر في موتهِ اعظم منهُ في حياتهِ ويجعل الموت نفسهُ كموطإ لمجدهِ بحيث يمكنهُ ان يصرخ مفتخراً: «اين غلبتُك أيها الموت واين شوكتُك أيها الموت» (١ كورنتس ١٥: ٥٥)

فلنعتبرنَّ اذن دون خجل موت المسيح ولنيقنَّ انَّ هذه الميتة كانت اقوى دليل على لاهوتهِ بما ابرزهُ من آيات القوَّة والحكمة معاً. وهنا لا نرى حاجةً الى تنبيه القرَّاء بان قولنا في المسيح انهُ مات موت إله لا نريد بهِ موت اللاهوت واللاهوت لا يقبل التغيير والفساد وانّما نريد انَّ المسيح الاله الكلمة المتجسد مات في طبيعتهِ البشريَّة المتحدة بلاهوتهِ اتحادًا غير منفصم في وحدة الاقنوم الالهي

*

ليس عجباً انَّ الله عزَّ وجل وهو الرب المتعالي والقوي المالك الملك يتصرَّف بمخلوقاتهِ تصرُّف السيد القهَّار والسلطان الاعظم فاذا ابدع المخلوقات من العدم وصنع

الكائنات بكلمة من فيهِ فلا غرو لانَّ لهُ القدرة على كل شيء. ولكن ما يستحق الانذهال ويستوجب العجب هو ان الاله السرمد الصمد الذي ليس لهُ اوَّل ولا آخر يخضع من تلقاء نفسهِ لحكم الموت. فهو لعمري سرٌّ يدهش السماء والارض ومن شأنهِ ان يزعزع كل ايماننا لولا انهُ في عنايتهِ الصمدانيَّة اكثر من الآيات التي تنبئ عن قوتهِ الالهيَّة

ومصداقًا على قولنا دَعنا نتقفَّى آثار المسيح في آلامهِ فنرى هذه القوَّة العجيبة الدالَّة على لاهوتهِ

واوَّل هذه الادلة ان السيد لذكرهِ المجد سبق واختار موتهُ وكلَّ ظروف هذه الميتة واحوالها وتفاصيلها لم يَفُتْهُ منها شيء البتَّة. فراجع ما كتبهُ في هذا الشان الانبياء كداود واشعيا وارميا وبقيَّة كتبة اسفار العهد القديم ترَ انَّهم وصفوا عذابات المسيح وتتبَّعوا آلامهُ فردًا فردًا حتى لو جُمعت اقوالهم لظنَّ القارئ انَّهم مؤرخون يكتبون ما رأوهُ عيانًا لا انبياء. دوَّنوا اقوال المسيح واعمالهُ في موتهِ قرونًا عديدة قبل حدوثها ودونك بعض هذه الآيات وتطبيقها مع اخبار الانجيليين

١ً دخول المسيح الى اورشليم يوم احد الشعانين « ابتهجي جدًّا يا بنت صهيون واهتفي يا بنت اورشليم هوذا ملكك يأتيك صدّيقًا مخلّصًا وديعًا راكبًا على اتان وجحش ابن أتان » (زكريا ٩ : ٩ ومتى ٢١ : ٤ و ٥ ومرقس ١١ : ١ ولوقا ١٩ : ٢٩)

٢ً سرّ القربان وذبيحة العهد الجديد « قال الربّ لسيدي . . . انت كاهن الى الابد على رتبة ملكيصادق » (مز ١١٠ : ١) . « في كل مكان تُقتَّر وتقرَّب لاسمي تقدمة طاهرة » (ملاخي ١ : ١١ متى ٢٦ : ٢٦—٢٩ مرقس ١٤ : ٢٢—٢٥ لوقا ٢٢ : ١٥—٢٠)

٣ً تسليم يهوذا لربّهِ وثمن صفقتهِ « صاحب سلامي الذي اتكلتُ عليهِ واكل خبزي هو رفع عليَّ عقبهُ » (مز ٤١ : ١٠) « وزنوا اجرتي ثلاثين من الفضَّة فقال لي الرب ألقيها الى الخزّاف ثمنًا كريمًا ثمنوني بهِ » (زكريا ١١ : ١٢ و ١٣ متى ٢٦ : ١٤٧—٥٠ و ٢٧ : ٣—١٠ مرقس ١٤ : ٤٣—٤٥ لوقا ٢٢ : ٤٧—٤٨ يو ١٨ : ٢—٦)

٤ً تفرُّق الرسل : « اضرب الراعي فتتبدَّد الخراف » (زكريا ١٣ : ٧ ومتى ٢٦ : ٣١)

٥ً اتفاق الامم واليهود في الحكم بالموت على المسيح وشهود الزور « لماذا ارتجَّت

الامم وهذّت الشعوب بالباطل قام ملوك الارض والعظماء ائتمروا معًا على الربّ وعلى مسيحه » (مز ٢ : ١ — ٢) . يقوم عليّ شهود جور ويسألونني عمّا لا اعلم . يجازونني عن الخير شرًّا (مز ٣٤ : ١١ — ١٢ متّى ٢٦ : ٥٧ — ٦٦ مرقس ١٤ : ٥٣ — ٦٤ يو ١٨ : ١٩)

٦ً جلادهُ وما قاساهُ من الهوان في دار قيافا بذلتُ ظهري للضاربين وخدّي للناتفين ولم استر وجهي عن التعييرات والبصق » (اشعيا ٥٠ : ٦ متّى ٢٦ : ٦٧ — ٦٨ مرقس ١٤ : ٦٥ لوقا ٢٢ : ٦٣ — ٦٥)

٧ً تسميرهُ على الصليب « ثقبوا يديّ ورجليّ اُحصي عظامي كلها » (مز ٢١ : ١٧) « ما هذه الجراح في وسط يديك . هي التي جُرحتها في بيت محبّيّ » (زكريّا ١٣ : ٦ متّى ٢٧ : ٣٥ الخ)

٨ً استهزاء اليهود به على صليبه « انا دودة لا انسان عارٌ عند البشر ورذالة في الشعب كل الذين يبصرونني يستهزئون بي يغفرون الشفاه ويهزّون الرؤوس » (مز ٢١ : ٦ — ٧) . « انهُ ان كان الصدّيق ابن الله فلينصرهُ وينقذهُ من ايدي مقاوميه فلنمتحنهُ بالشتم والعذاب حتى نعلم حلمهُ ونختبر صبرهُ ولنقضِ عليهِ باقبح ميتة فانهُ سيُفتقَد كما يزعم » (الحكمة ٢ : ١٨ — ٢٠ متّى ٢٧ : ٤٠ — ٤٣ يو ١٩ : ٢)

٩ً سقيهُ الخل والمرّ « وجعلوا في طعامي مرارةً وفي عطشي سقوني مرًّا » مز ٦٨ : ٢٢ متّى ٢٧ : ٣٤ مرقس ١٥ : ٢٣ لوقا ٢٣ : ٣٦ يو ١٩ : ٢٩)

١٠ً اقتسام الجند ثيابهِ واقتراعهم على لباسهِ « يقتسمون ثيابي بينهم وعلى لباسي يقترعون » (مز ٢١ : ١٩ متّى ٢٧ : ٣٥ مرقس ١٥ : ٢٤ لوقا ٢٣ : ٣٤ يو ١٩ : ٢٣ — ٢٤)

وقد وصف اشعيا كل آلام المسيح وصفًا شاملًا فجميع هذه النبوآت المتفرّقة فقال (ف ٥٢ و ٥٣) :

« هوذا عبدي يعمل بالحزم . . . انهُ ينبت كفرخٍ امام الربّ وكجرثومة من ارض قاحلة لا صورة لهُ ولا جاه فننظرَ اليهِ ولا منظر فنشتهيهُ مزدرًى ومخذول من الناس رجل اوجاع ومتمرّس بالعاهات . . . مزدرًى فلم نعبأ بهِ انهُ لقد اخذ عاهاتنا وحمل اوجاعنا فحسبناهُ ذا برَص مضروبًا من الله ومذلَّلًا جُرح لاجل معاصينا وسُحق لاجل آثامنا فتأديب سلامنا عليهِ وبشدخهِ شُفينا كُنّا ضللنا كالغنم كل واحدٍ مال الى طريقهِ فالربُّ طلبهِ اثم كلّنا . قُدّم وهو خاضع ولم يفتح فاهُ . كشاة سيق الى الذبح وكحمل صامتٍ امام الذين يجزّونهُ . من الضيق والقضاء أُخذ ومن يصف مولدهُ انهُ قد انقطع من ارض الاحياء ولاجل معصية شعبي اصابتهُ الضربة . والربُّ رضي

ان يسحقه بالعاهات فانهُ اذا جعل نفسهُ ذبيحة اثم يرى ذُرِّيَّة وتطول ايامهُ ومرضاة الرب تنجح على يده . . . »

فليت شعري أكان ممكناً ان توصف آلام المسيح باوصاف اطبق للواقع وادق واوقع في القلوب من الاوصاف السابق ذكرها التي اوحى بها الروح القدس للانبياء منذ زمن مديد ليرى البشر في اوجاع المسيح نفسها شاهداً على تتمَّة النبوَّات في شخصه

وقد سبق الرب ذاتهُ عزَّ وجل واعلم رُسلهُ بما سيدهمهُ من النكبات واصناف العذاب معدِّداً لهم كل تفاصيل موته من تسليمه لايدي اعدائه وضربه بالسياط والازدراء بشخصه والتَّفل في وجهه وموته على الصليب وذلك لئلا يشكُّوا به اذا ازفت ساعة آلامه . وكذلك اخبر تلاميذهُ سلفاً بما سيجري لهم فتنبأ ليهوذا خيانتهُ وبطرس جحودهُ المثلَّث قبل صياح الديك ثم رجوعهُ والمجدليَّة ان سَكْبها الطيب على رأسه يقوم لها مقام تحنيط جسمه ويذيع خبرهُ في العالم اجمع . هذا فضلاً عن نبوَّته في اورشليم وخرابها الوشيك على يد الرومان بحيث لا يبقى فيها حجر على حجر

واعلم انَّ كل همّ المسيح في آلامه كان أن لا يدع شيئاً من النبوَّات الَّا يتمها في شخصه ولذلك ترى الانجيليين اذا ذكروا امرًا من آلامه لشاروا للحال الى نبوَّات الانبياء « ليتمّ ما قيل بالنبيّ القائل » او الى نبوَّة يسوع السابقة « ليتمّ كلامهُ الذي قالهُ » . بل المسيح نفسهُ يذكّر ذويه بهذه النبوَّات كقوله لبطرس لمَّا كفَّهُ عن الضرب بالسيف (متى ٢٦ : ٥٣) : « اتظنّ اني لا استطيع ان اسأل ابي فيقيم لي في الحال اكثر من اثني عشرة جوقة من الملائكة . ولكن كيف تتمّ الكتب فانَّ هذا ما ينبغي ان يكون »

فناشدتك الله ايكون الذي يموت هذه الميتة انساناً فقط . او ليس هو بالاحرى في موته على هذه الصورة كما يقول الرسول : « المسيح المصلوب قوَّة الله »

ولكن لنا ما يزيد هذا القول حجَّةً . وهو انَّ المسيح لم يَمت فقط وهو متمّم في شخصه الكريم كل النبوَّات بل اصطنع في وقت آلامه وموته آياتٍ باهرة تدلُّ على لاهوته . فانك تراهُ في بستان الزيتون لا يسلِّم نفسهُ لطالبيها الَّا بعد ان يظهر لهم قوَّتهُ الالهيَّة قال يوحنَّا البشير (١٨ : ٤ — ٧) : « فخرج يسوع وهو عارف بجميع ما يأتي عليه وقال لهم : من تطلبون . فاجابوهُ : يسوع الناصري . فقال يسوع : انا هو . فلمَّا

قال لهم : انا هو ارتدّوا الى الوراء وسقطوا على الارض » . ثم اردف هذه المعجزة بمعجزة أخرى تدلُّ على لطفه باعدائه وذلك لمَّا قطع بطرس أذن ملكس فاخذها الرب وابرأ صاحبها

لكنَّ هذه الخوارق العظيمة ظهرت خصوصاً في وقت صلب المسيح وموته فانَّ الانجيليين يروون العجائب التي جرت في تلك الساعات الاخيرة التي قضاها ابن الله بين الآلام وضروب النكال فان الشمس اظلمت منذ الساعة السادسة الى الساعة التاسعة (متّى ٢٧ : ٤٥) وهو كسوف عجيب يخالف كلّ نواميس الطبيعة بوقته وطوله . وما كاد يسوع يسلم الروح حتى انشقّ حجاب الهيكل الذي يصون قدس الأقداس الى نصفين وتزلزلت الارض وتشقّقت الصخور وتفتّحت القبور وتراءى اصحابها لكثيرين (متّى ٢٧ : ٥١ — ٥٣) . واغرب من ذلك انَّ المسيح لم يلفظ روحهُ الّا بعد ان نادى بصوت عظيم قائلاً : « يا ابتِ بين يديك استودع روحي » وفي هذا الصوت وحده آية جليلة لانَّهُ جرى على خلاف ما يُعهَد من المصلوبين الذين يموتون باقطاع النفَس ما لم يكن موتهم بكسر سوقهم كما حدث للّصَّين المصلوبين مع يسوع . ولذلك ترى قائد المئة قد اقرَّ بلاهوتهِ لمَّا رآهُ ماثلاً على هذه الصورة . قال مرقس (١٥ : ٣٤) : « ولمَّا رأى قائد المئة القائم مقابَلَهُ انهُ اسلم الروح صارخاً هكذا قال : في الحقيقة كان هذا الرجل ابن الله »

وان تعرَّض لنا احد قائلاً : انَّك لا تستند في رواية هذه الآيات الّا الى الانجيل وما ادرانا بان تكون شهادة الانجيل صادقةً . اجبنا على هذا الاعتراض كما اجاب سابقاً المشرق (٦ : ٣٣٧) على صحّة شهادة الرُّسل في روايتهم عن قيامة المسيح فبيَّن انَّهم شهود اثبات موثوق بهم لم يخدعوا بما رووا واثبتوا صدقهم بالصبر على الموت والعذاب كما انهم لم ينخدعوا اذ لم يرووا غير ما عاينوا . قال يوحنّا الرسول (١٩ : ٣٥) : « والذي عاين شهد وشهادتهُ حقٌّ وهو يعلم انهُ يقول الحق لتؤمنوا انتم »

ولنا على يقين الرُّسل وصدق شهادتهم براهين أخرى تنفي عنهم كل خداع ومكر منها سكوت اليهود الذين عرفوا شهادة الرسل وتهدَّدوهم بالقتل ان لم يكفُّوا عن نشرهم هذه الآيات ولكن لم يستطيعوا ان يكذّبوا شهادتهم مع شيوع الامر بين الجمهور . ومنها ايضاً شهادة السجلاّت الرومانيَّة المحفوظة في أيام ترتوليانوس المعلّم

وقد احال القياصرة اليها في القرن الثاني للمسيح او اوائل الثالث بقوله في الفصل ٢١ من دفاعه عن النصرانيّة: « وفي ساعة موت المسيح حُجبت الشمس في رائعة النهار . . . فادّت بكسوفها شهادةً للمسيح وفي سجلاتكم ذكر لهذا الواقع (١) ». وهذا الكسوف الذي حدث وقت تمام البدر على خلاف قوانين الطبيعية اذ ان كسوف الشمس لا يحدث الّا في اوّل القمر قد ذكرهُ ايضاً فلاغون الفيلسوف ونقلهُ عنهُ يوليوس الافريقيّ وكلاهما يرى فيهِ عجباً عجاباً. قال يوليوس الافريقي في القرن الثالث للمسيح: « روى فلاغون انهُ يوم الابدار حدث في الشمس كسوف دام من الساعة السادسة الى التاسعة على عهد طيباريوس قيصر (٢) »

وهذه الآيات التي ذكرناها انّما هي قسم من معجزات المسيح في موتهِ. ولنا ما هو اعظم منها نريد العجائب الادبيّة التي اصطنعها الربّ وقت آلامهِ منها انهُ بنظرةٍ واحدة الى تلميذهِ بطرس حرّك في قلبهِ الندامة على نكرانهِ فخرج من وقتهِ وبكى على خطيتهِ بكاء مرًّا (لو ٢٢: ٦١). ومنها انهُ كان يهتمّ بخلاص غيرهِ وينسى ما هو عليهِ من الاوجاع والآلام كما فعل لمّا التفت الى بنات اورشليم الباكيات عليهِ وحضهنّ على البكاء على انفسهنّ وبنيهنّ ليرددنَ غضبهُ تعالى عن امّتهنّ (لو ٢٣: ٢٨). وكذلك أثار عواطف التوبة في نفس احد اللصّين المصلوبين معهُ فجعلهُ بعد آلامهِ النظيعة وتجديفهِ تائباً مؤمناً بلاهوتهِ ملتمساً منهُ ان يذكرهُ متى جاء ملكوتهُ. بل مسّ قلوب الحضور من جُند وغيرهم فغيّرها حتى ان الجموع الذين كانوا مجتمعين على الجلجلة لمّا عاينوا موتهُ وآياتهِ رجعوا وهم يقرعون صدورهم ندامةً (لوقا ٢٣: ٣٩—٤٨)

ولكن ما لي اذكر الآيات التي جرت على يد المسيح وقت آلامهِ اليس موتهُ اكبر هذه الآيات؟ ولا مراء. انّنا نحن النصارى نعتقد ان المسيح هو الأقنوم الثاني من الثالوث الأقدس كلمة الله وإله مثلهُ لكنّهُ قائم بطبيعتين الواحدة ازلية غير قابلة التغيير وهي الطبيعة الالهيّة التي لا تنقسم في الآب والابن والروح القدس والأخرى زمنيّة خاصّة بهِ دون الآب والروح اتّحد بها عند تأنسهِ دون ان يصيب طبيعتهُ الالهيّة تغييرًا البتّة. الّا انّ هذه الطبيعة البشريّة كان من حقّها عند اتحادها بالطبيعة الالهية ان تحتفي

(١) راجع Tertullianus: *Apolog.* c. 21

(٢) راجع سينقلوس Chronographia G. Syncelli, Bonnæ, 1820, p. 610

بالسعادة التامّة دون ان يطرأ عليها ألم ولا يصيبها موت لانَّ الموت كما قال الرسول بولس ثمرة الخطيئة والطبيعة البشريّة في المسيح كانت منزّهة عن الخطيئة. ومن ثم لم يكن الموت ليقوى عليه لولا انَّ الربّ أعطى له السلطة ليهدم هيكل جسده ويحلّل تركيبهُ العجيب. ولذلك تراهُ يكرّر قولهُ بانهُ يبذل نفسهُ طوعًا غير مُكرهًا. « ليس احد يأخذ نفسي مني ولكنّي ابذلها باختياري ولي قدرة ان ابذلها ولي سلطة ان آخذها ايضًا » (يو ١٠: ١٨). ولمَّا قال له بيلاطوس ألا تعلم ان لي سلطة ان اطلقك ولي سلطة ان اصلبك. اجابهُ يسوع: ما كان لك عليَّ من سلطة لو لم يُعطَ لك من فوق » (يو ١٩: ١٠)

ولم يقدّم المسيح فقط نفسهُ طوعًا للموت بل هو الذي اختار صنف موته اي الصلب. فانهُ قال منذ بداية بشارته لنيقودمس رئيس اليهود: « كما رفع موسى الحيّة في البريّة هكذا ينبغي ان يُرفع ابن البشر » (يو ٣: ١٤) وكذلك اعلن بنوع موته للجمهور قائلًا: « وانا اذا ارتفعتُ عن الارض جذبتُ اليَّ الجميع. وانّما قال هذا ليدلَّ على أيّة ميتة كان مزمعًا ان يموتها » (يو ١٢: ٣٢—٣٣). وقد سبق انهُ اعلم تلاميذهُ علانيةً بانهُ صاعد لاورشليم ليُصلب بايدي الامم

وما نقولهُ عن صنف موته يصحّ ايضًا عن زمنه فانَّ الربّ هو الذي حدَّد هذا الوقت فلم يستطع احد ان يقدّمهُ او يؤخّرهُ دقيقةً واحدة. ولذلك لمَّا اراد اهل الناصرة ان يلقوهُ من قمّة الجبل الذي كانت مدينتهم مبنيّةً عليه « جاز يسوع في وسطهم ومضى » (لوقا ٤: ٢٩—٣٠) دون ان يصيبوهُ بأذى. وكذلك حاول اليهود مرارًا ان يمسكوهُ او يرجموهُ بالحجارة فلم ينالوا منهُ بغيتهم وذلك « لانَّ ساعتهُ لم تأتِ بعد » (يو ٧: ٣٠): وكذا ايضًا لم يغيّر في خطّته شيئًا لمَّا قال له الفريسيون: اخرج واذهب من هُنا فانَّ هيرودس يريد ان يقتلك فاجابهم: اذهبوا وقولوا لهذا الثعلب ها انا أُخرج الشياطين وأُجري الشفاء اليوم وغدًا وفي اليوم الثالث أُكمَّل » (لوقا ١٣: ٣١—٣٢) مصرحًا بذلك انهُ هو سيّد الزمان كما انهُ ربّ الحوادث

وبخلاف ذلك لمَّا حانت ساعة موته لم يشأ ان تتأخر ولا يومًا واحدًا. والدليل على ذلك انَّ اعداءهُ لم يريدوا ان يُقتل يوم العيد خوفًا من الجموع (مرقس ١٤: ٢) بل بعد العيد. امَّا يسوع الذي كان اختار يوم الفصح وسبق واعلم به رسلهُ فانهُ مات في اليوم

الذي اراده . وهذا ايضاً ما قالهُ للشرط والجند الذين اتوا ليمسكوهُ في البستان (يو ٢٢ : ٥٣) : «اني كل يوم معكم في الهيكل ولم تمدُّوا عليَّ ايديكم ولكن هذه ساعتكم وهذه سلطة الظلمة »

وكان بوسع المسيح ان يُفلت من ايدي اعدائهِ في وقت آلامهِ كما فعل سابقاً لكنَّهُ هو الذي كان يصنع المعجزات في وقت آلامهِ لم يشأ ان يصنع هذه الاعجوبة الوحيدة اعني نجاة نفسهِ من الموت لانهُ لو صنعها لأبطل بيِّنة معجزاتهِ ولمَّا اتمَّ وصيَّة ابيهِ السماوي لفداء جنسنا (يو ١٠ : ١٨) فلهذا السبب لم يشأ ان يبتعد عنهُ كأس آلامهِ (٢٢ : ٤٢) ولم يطلب ان يؤيدهُ ابوهُ بملائكة من السماء (متَّى ٢٦ : ٥٣) ولم يدافع عن ذاتهِ ويخلِّص شهود الزور عند حانان وقيافا (مرقس ١٤ : ٦١) ولم يصنع امام هيرودس آيةً ليخلِّص نفسهُ (لوقا ٢٣ : ١٠) ولم ينزل من عن صليبهِ كما كان يطلب الكهنة ورؤساء الشعب (متَّى ٢٧ : ٤٢)

فيا لله ايكون انسانٌ من اظهر هذه القدرة على الموت فيموت لانهُ شاء وكما شاء وحين شاء وفي المكان الذي شاء لانهُ هو الذي اختار اورشليم لضحيَّتهِ قائلاً : « لا ينبغي ان يموت نبيٌّ خارجاً عن اورشليم »

واذا أضفنا الآن الى ما سبق وصف المجد العظيم الذي احرزهُ السيد المسيح بصلبهِ وموتهِ ظهر قولنا عن لاهوتهِ باجلى برهان

والحقُّ يقال انَّ الربَّ يسوع لو نال الفخر والعزَّ بطارئ بشريَّة كما فعل غيرهُ من مشاهير الرجال لَمَا استحقَّ مجداً ممتازاً عمَّا سواهُ . فلو جاء على الارض بثروة كثروة قارون وبجيوش جرَّارة كالاسكندر ولو خلب القلوب ببلاغة كلامهِ لكان صنع ما صنعهُ غيرهُ من البشر . امَّا انهُ يموت سهلاً اتبع ميتة ثمَّ يُحصى بين الأئمة فيرذله قومهُ كمجدَّف ومُضِلّ ويبلغ مع ذلك اقصى غاية المجد فذلك امرٌ لا يتوى عليهِ غير الله وحدهُ . وكان الانبياء سبقوا واعلموا بعظمة المسيح وعزّهِ بعد الهوان والنكال كما رأيت من كلام اشعيا النبي حيث قال (١٣ : ١٠) : « انهُ اذا جعل نفسهُ ذبيحة اثم يرى ذُرِّيَّةً وتطول ايامهُ ومرضاة الرب تنجح على يدهِ » وكذلك تنبأ المسيح عن مجد صليبهِ فقال : وانا اذا ارتفعتُ اجذبُ اليَّ الكل . وقال الرسول مصرِّحاً بشرف موت المسيح (فيلبي ٢ : ٨) : « وضع نفسهُ وصار يطيع حتى الموت موت الصليب فلذلك

رفعهُ الله ووهبهُ اسماً يفوق كل اسم، لكي تجثو باسم يسوع كل ركبةٍ مما في السماوات وعلى الارض وتحت الارض ». وهذا الامر اي انتصار المسيح بصليبهِ هو امرٌ واقعيٌ تشهد لهُ الامم منذ نحو الفي سنة. اذ تعتبر الصليب الربَ قوّات العالم وعظماؤهُ بعد ان كان آلةَ للعار والهوان. قال القديس اوغسطينوس: « قد انتقل الصليب من مكان الهوان والذل الى ان تزيّنت بهِ هامة الملوك ». ونعم ما وصفهُ بهِ ابو الحلم المعروف بابن الحديثيّ في عظتهِ عن يوم الصليب:

« انّ اللواء المعقود على الامة المسيحية. والعلَم المنشور على رؤوس الكتائب الصليبية هو الصليب المسيحيّ المنصوب في مذابح بيعتهِ. واللواء النوري الذي مُدّت على امتهِ السيد المسيح اضواء اشعّتهِ. بهِ تأيّد الرسل الاطهار على مناضلة الشياطين. وشيّدوا فخار الدعوة امام ملوك الارضين. بآياتهِ قهروا فلاسفة اليونان. وبمعجزاتهِ هدموا بيوت الأنداد وهياكل الاوثان. بهِ أصحب قسطنطين الملك الرومي بعد جماحهِ وإباتهِ. وحلّ عن قلبهِ الزكيّ عُقَد عقائد اسلافهِ وآبائهِ... بنورهِ اشرقت النصرانية. واشتدّ على الآفاق شعاع المملكة الروحانية. هو قبلة الساجدين ومقدس المتهجدين ودليل المهتدين وسبيل المجتهدين. هو الملجأ العاصم من الاذاء. والدواء الحاسم كوامن الادواء... بهِ يستأنس الحيارى المؤيّدون في وحشة الفلوات. وبتأيّد الفضلاء المجتهدون في مواقف الصلوات. بهِ مُثّلت الحيّة النحاسيّة حيث كانت حذاء الشعب معلّقة. وبهِ شُبّهت الدما الموسويّة يوم حرب العمالقة... هو الترسُ الذي ازهرت البركات من اغصانهِ. واورقت الخيرات من اغصانهِ. وكان النّخل الحبيب ثمرتهُ. والمختار النجيب زهرتهُ. والحاجلّة الاورشليميّة اصلهُ وارومتهُ. والجميزة الآدميّة جذمهُ وجرثومتهُ. وارض صهيون منبتهُ وقراحهُ. ويوسف الحبيب اكّارهُ وفلّاحهُ...»

فهذا ما نالهُ السيد المسيح بموتهِ وصلبه من العظمة والشرف وبرهن بذلك على انهُ هو الاله القدير الذي يصنع ما لا يمكن احد غيرهُ ان يصنعهُ

هذا ولو اردنا ان نبين ان السيد المسيح بموتهِ وصليبه ليس فقط اظهر قوّة الهيّة ولكن ابرز ايضاً حكمة تليق بالهٍ لاتسع بنا المجال وزادت اتوالنا السابقة حجّةً في بيان لاهوتهِ. فانظر يا رعاك الله كيف علّمنا المسيح بمثله اسمى الفضائل كالتسليم لارادة تعالى في الاوجاع واحتمال الآلام والصبر على الجور وعدم الاكتراث لدنيونة البشر وغفران الخطايا للقريب والصلاة لاجل الاعداء وقبول الموت من يد الله. قال الكاتب جان جاك روسو مقابلاً بين موت المسيح وسقراط: « انّ موت سقراط موت حكيم امّا موت المسيح فموت إله ». أجل انّ هذه الفضائل كلها كان الربّ علّمناها في حياته بكلامهِ خصوصاً لكنّهُ بموته يطبعها في قلبنا بامثاله. أفيجوز للانسان الخاطئ ان يفتح فاهُ

متذمرًا على العناية الالهية لاوجاعه وآلامه لمَّا يرى ابن الله البارة بالذات يقاسي ما هو امرّ واعظم من بلاياه. وكيف لا يقبل حكم الموت البارز على كل بني البشر المجرمين لمَّا يعاين ربّ الحياة خاضعًا لحكم المنيَّة فانَّ المريض اذا نظر طبيبهُ يشرب الدواء المرّ لينشطهُ بمثله على شربهِ لا يعود يتردّد في شربه فكذلك فعل معنا ابن الله تقدَّمنا ماشيًا للاوجاع والموت حبًّا بنا فلا يليق بنا ان نطلب بعدهُ اللذَّات والخلد في هذا العالم الزائل لانهُ ليس عبدٌ اعظم من سيّدهِ

فلنشكرنَّ الله اذن على نعمة صليبهِ فانهُ بهِ قوَّى ايماننا ووطَّد رجاءنا واضرم محبَّتنا فيسوغ لنا ان نقول مع صاحب الاقتداء بالمسيح (ك ٢ ف ١٢):

« في الصليب الخلاص. في الصليب الحياة. في الصليب الحماية من الاعداء. في الصليب فيضان اللذَّة العلوية. في الصليب قوَّة النفس. في الصليب فرح الروح. في الصليب غام الفضيلة. في الصليب كمال القداسة. لا خلاص للنفس ولا رجاء في الحياة الابديَّة الَّا في الصليب. فاحمل اذن صليبك واتبع يسوع تذهب الى الحياة الابديَّة. فانهُ تقدَّمك احملهُ قد سبقك وهو حامل صليبهُ ومات على الصليب من اجلك لكي تحمل انت ايضًا صليبك وترغب ان تموت على الصليب لانَّك ان متَّ معهُ تحيا معهُ »

رحلة علميّة

من اديس ابابا الى النيل عن طريق بحيرة رودلف

بقلم جناب الصيدلي القانوني عبد الله افندي مخائيل رعد المتخرّج في مكتبنا الطبي

كُلِّف في السنة الماضية من قِبَل ناظر المعارف الفرنساوي حضرة الشيكونت رويير دي بورج دي بوزاس (V^te du Bourg de Bozas) ان يرحل رحلة علمية الى جنوبي الحبشة. فسافر من فرنسة يصحبهُ عدد من المهندسين مع الدكتور بروم ووصلوا اديس ابابا في اوائل كانون الثاني سنة ١٩٠٢

مكثت هذه الحملة شهرين في عاصمة منليك حيث درست الاراضي درسًا جيولوجيًّا وخصوصًا وادي « موگور » الذي ينصبّ فيهِ في بعض السنين جزء من مياه النيل الازرق. وزارت « اديس عالم » التي يعدُّها النجاشي ليجعلها عاصمة جديدة لبلاده